

# المشرق الرقمية



مجلة إلكترونية تصدر مرتين في السنة عن دار المشرق  
العدد الثالث. كانون الأول ٢٠١٣

## إطالة سريعة على الكتاب الإلكتروني

فادي حليسو اليسوعي\*

يحقق النشر الرقمي نجاحاً متزايداً في الغرب، وبحسب بعض الخبراء، فإن دور النشر التي دخلت عباب المغامرة الرقمية حققت بالمقابل زيادة لافتة في مبيعاتها الورقية أيضاً. إذ يبدو أنّ الحضور على منصّات النشر الإلكتروني يساهم في زيادة الطنين حول الكتاب، ويتيح الوصول إلى شرائح جديدة من القراء، منها من لا يزال على ولائه للكتاب التقليدي. لقد حقّق جهاز الـ "كيندل" Kindle، أول قارئ رقمي بتقنية الحبر الإلكتروني، الذي أطلقته شركة أمازون العام ٢٠٠٧، نجاحاً منقطع النظير، ربّما لم يكن مصنّعه أنفسهم يحلمون به، معلناً الانطلاقة الحقيقية لعالم الكتاب الرقمي، الأمر الذي شجّع العديد من الشركات على دخول هذا السوق لتحظى بحصّتها من الكعكة قبل فوات الأوان. ذلك أن العام ٢٠١١ شهد إعلان شركة أمازون أنّ مبيعاتها من الكتب الإلكترونية في أميركا قد فاقت للمرّة الأولى مبيعاتها من الكتب الورقية، فهل يعني ذلك أنّنا في عصر انقراض الكتب الورقية؟

\* مسؤول عن موقع دار المشرق الإلكتروني.

ليس الأمر على هذه الدرجة من الخطورة كما يخشى عدد من الناشرين الصغار الذين لم يتمكّنوا من التأقلم بعد مع متطلّبات العصر الرقميّ. فعلى الرغم من مبيعات الكتب الإلكترونيّة المتزايدة، وظهر أكثر من منصّة للبيع والتوزيع، إلّا أنّ السوق الرقميّ لا يشكّل حتّى الآن سوى ٢٠% فقط من حجم مبيعات دور النشر في الولايات المتحدة الأمريكية، فيما تنخفض النسبة في بريطانيا إلى ١٢%، مقابل ٥% فقط في ألمانيا، و٢% في فرنسا. وعلى الرغم من هذه الحصّة الصغيرة جداً من السوق في أوروبا، إلّا أنّ ثمة صناعة كاملة جديدة في طور التشكّل بفضل هذا القطاع الجديد، حيث نشأت شركات ودور نشر مختصّة بالنشر الإلكترونيّ وخدماته المختلفة.

أمّا في العالم العربيّ فما يزال النشر الإلكترونيّ يحبو خطواته الأولى، ذلك لا يعني أنّ السوق تقبع ساكنةً، بل ثمة العديد من المبادرات الإيجابية التي طرحها عدد من الشركات العريقة أو الناشئة لاقتحام هذا العالم. ولكن قبل الحديث عن قابلية العالم العربيّ لاعتناق الثورة الرقمية في مجال النشر، لا بدّ من استعراض التحدّيات التي تواجه الكتاب الإلكترونيّ، والتي يمكن تحديدها في ثلاثة:

- تقنيّة القراءة المستخدمة.
- تقنيّات النشر.
- آليات النشر والتوزيع والمنصّات المستخدمة.

### أولاً: تقنيّة القراءة المستخدمة

ثمة في السوق العالمية تقنيتان أساسيتان، مختلفتان تماماً واحدهما عن الأخرى، تسمحان بقراءة الكتب الإلكترونيّة، وهما أجهزة القراءة المعتمدة على الحبر الإلكترونيّ e-Ink readers، والأجهزة اللوحية Tablets.

## ١. تقنيّة الحبر الإلكتروني e-Ink readers



ابتكرتها شركة أمازون من خلال جهاز "Kindle". وتهدف هذه التقنيّة إلى خلق تجربة قراءة شبيهة بالتجربة الورقيّة من خلال الحبر الإلكتروني، فتتميّز من جهة بعدم وجود إضاءة صادرة عن الجهاز تتسبّب بإزعاج العين، وهي نقطة التفوّق الأساسيّة في هذا النوع من الأجهزة على الكومبيوترات والأجهزة اللوحية، إذ أنها تمكّن القارئ من التمتع بساعات طويلة من القراءة المتواصلة من دون إلحاق الضرر

بالعين. وتتميّز من جهة أخرى، وبسبب هذه الخاصّة، بقدرتها على عرض النصّ حتّى في ضوء الشمس، وهو ما لا تتمكّن الأجهزة اللوحية من فعله. توجد في السوق اليوم عدد من الأجهزة التي تتبع هذه التكنولوجيا nook, kobo, Sony Reader إلا أنّ أيّاً منها لا يدعم اللغة العربيّة بشكل فعّال حتّى اللحظة. ثمة إشاعات عن استعداد أمازون لدخول السوق العربيّة، لكن لا شيء مؤكّداً حتى الساعة. يتراوح سعر هذه الأجهزة ما بين ٧٠ - ٢٠٠ \$، وهذه نقطة قوّة إضافية تتمثّل في سعرها الرخيص نسبياً. يبقى أن نذكر أنّه لا يمكن استخدام هذه الأجهزة في دخول الإنترنت بسهولة واستعراض المواقع المختلفة، رغم قدرتها على ذلك، وهو ما يعتبره بعض النقاد نقطة ضعفها الأساسيّة. إلا أنّه يجدر التذكير هنا، أنّ الهدف الأساسيّ لهذا النوع من الأجهزة ليس ولوج الشبكة بل القراءة وحسب. من العيوب السابقة لهذه الأجهزة، عدم إمكانيّة استخدامها في الظلام، بعكس الأجهزة اللوحية، لكنّ هذه المشكلة حلّت مع الإصدارات الجديدة التي تضمّنت حلاً مبتكراً يسمى بالإضاءة الساقطة، أي تلك التي تسقط على النصّ ولا تصدر عنه.

## ٢. الأجهزة اللوحية – Tablets



الوسيلة الثانية،  
والوحيدة المتاحة حتى  
الساعة في المنطقة  
لقراءة الكتب الإلكترونية  
باللغة العربية هي  
الأجهزة اللوحية. وهي  
متوافرة حالياً بنظامي  
تشغيل أساسيين: الأول  
هو iOS من Apple  
يعمل فقط على أجهزة

iPad؛ والثاني هو Android من google ويعمل على عدد كبير من الأجهزة من إنتاج عدة شركات، منها الغالي الثمن ومنها الرخيص الذي لا يتجاوز سعره المئة دولار أميركي. الميزة الأساسية للأجهزة اللوحية في ما يتعلق بالقراءة هي قدرتها على عرض صور ملونة بعكس أجهزة الحبر الإلكتروني التي تكتفي باللونين الأسود والأبيض. إلا أن نقطة الضعف الكبرى في هذه الأجهزة هي الإضاءة الصادرة عن الشاشة والتي تتسبب بإرهاق العين، لا سيما في الأجهزة منخفضة الثمن التي لا تراعي تخفيض الإضاءة، مما يعيق الكثيرين عن الاستفادة منها في قراءات ممتدة لوقت طويل.

### ثانياً: تقنيات النشر

ثمة صيغتان أساسيتان للملفات المنشورة إلكترونياً:

١. صيغة PDF الشهيرة، وهي صيغة غير محبذة لعدة أسباب: أولها أنها لا تتيح للقارئ التحكم بحجم الخط وتنسيق الصفحة وعرضها Page Layout. والسبب الأهم هو ضعف إمكانيات الحماية لملفات PDF. إذ يمكن كسر

الحماية بسهولة وتحويل الملف إلى ملف مفتوح يمكن مشاركته من خلال البريد الإلكتروني وإتاحته تحميله مجاناً على المنتديات، وبذلك لا تعود هنالك حاجة إلى شرائه. لذلك فغالباً ما يتم استعمال PDF لنشر الأطاريح الجامعية أو المقالات، لا الكتب.

٢. صيغة ePub. وهي الصيغة المتعارف عليها في نشر الكتب الإلكترونية من قبل معظم منصات النشر الإلكتروني. وهي صيغة قياسية مفتوحة وضعت من قبل المنتدى الدولي للنشر الإلكتروني. وقد وصلت هذه الصيغة إلى نسخها الثالثة المتطورة التي تدعم الكتب الإلكترونية المعززة Enhanced eBooks، والتي تسمح بتضمين مجسمات متحركة ضمن الكتب (خاصة مفيدة من أجل كتب الأطفال، أو الكتب العلمية). توفر هذه الصيغة إمكانيات حماية أوسع، إلا أن ذلك يتطلب من منصة النشر العمل الدائم على تحديث برمجياتها وحمايتها من أي ثغرات أمنية يتم اكتشافها.

### ثالثاً: آليات النشر والتوزيع

إن أعظم هواجس الناشرين على الإطلاق التي تؤرقهم وتؤخر دخولهم العالم الرقمي، هي مسألة الأمن الرقمي. أي كيف يمكن حماية الكتاب الذي كُف إنتاجه مبالغ طائلة من القرصنة، بحيث لا يتحول إلى ملف مفتوح يوضع على مختلف المواقع والمنتديات مجاناً. عندها لن يعود أحد مهتماً بشراء الكتاب إن كان بإمكانه تحميل نسخة رقمية جيدة ومتاحة له بالمجان. فبدلاً من تحميل نسخة من الكتب ممسوحة ضوئياً بنوعية رديئة، عبر كثير من المنتديات كمنتدى مكتبة الإسكندرية، ومكتبة المصطفى، وسور الأزيكية، وغيرها كما هي الحال اليوم، سيكون بإمكانهم تحميل نسخة بجودة احترافية اشتراها شخص، واحد وأصبحت متداولة بين المئات أو الآلاف من الأشخاص، الأمر الذي يتسبب بخسائر جسيمة للناشرين وربما بانهايار صناعة النشر برمتها، كما سبق وحصل في صناعة الموسيقى عندما دخلت العالم الرقمي.

بالطبع لكل مشكلة حلّ، يتضمّن هذا الحلّ إنشاء مخدمات استضافة Servers ذات معايير حماية متقدّمة ضد محاولات القرصنة والاختراق، ويتضمّن كذلك صنع برامج قراءة متطوّرة على أنواع أجهزة القراءة المختلفة. إلّا أنّ التحديّ الذي يواجه الناشرين من أجل تأمين مثل هذه الحماية مزدوج، إذ يتطلّب من جهة أولى فريقاً تقنياً ذا مستوى رفيع متفرّع خصيصاً لهذه المهمة، لا سيّما وأنّ العالم الرقمي لا يعترف بشيء يدعى الحماية المطلقة ولمرة واحدة، ذلك أنّ الأمن الرقمي ما هو إلّا سباق مستمرّ مع المخترقين يتطلّب منك أن تكون متقدّماً عليهم بخطوة أو خطوتين في أحسن الأحوال، ممّا يستدعي تحديثات أمنية دورية للتغرات التي يتمّ اكتشافها مع الوقت، ومن جهة ثانية يتطلّب معدّات وبرمجيات باهظة الثمن، مما يجعل من عملية النشر الإلكترونيّ المستقلّ عمليّة مكلفة للغاية لا يمكن لصغار الناشرين تحمّل أعبائها.

أمام هذا الواقع، ولأنّ عالم اليوم عالم الاختصاص فإنّ النشر الإلكترونيّ غالباً ما يتمّ من خلال طرف ثالث وسيط ما بين الناشر والقارئ، يقوم هذا الطرف بتحمّل التكاليف العالية لإنشاء منصّات نشر إلكتروني وضمان أمنها، وكذلك القيام بعمليّة التسويق مقابل نسبة يحصلها على المبيع.

لقد كانت شركة أمازون السبّاقة في هذا المجال، فأدركت بأنّ الثورة الرقمية قادمة لا محالة إلى عالم النشر، فاستبقت الجميع بطرح حزمة متكاملة من الحلول: قارئ مبتكر يعتمد على تقنيّة الحبر الإلكتروني Kindle، ما لبثت أن ألحقته بجهاز لوحيّ يعتمد نسختها الخاصة من نظام "أندرويد" Kindle Fire، بالإضافة إلى برنامج للقراءة متوافق مع مختلف الأجهزة الإلكترونية: أجهزة لوحية بمختلف الأنظمة السائدة، أجهزة هاتف ذكية، والكومبيوتر الشخصي بنظامي "ويندوز" و"ماك" على حدّ سواء. بهذا الشكل أمّنت أمازون، تجربة قراءة إلكترونية متواصلة، بحيث يمكنك متابعة قراءة الكتاب بين يديك، من المكان الذي توقّفت عنده، وعلى أيّ من أجهزتك الإلكترونيّة. سرعان ما تبعت أمازون شركات أخرى تبنت الرؤيا نفسها، من بينها مكتبة بارنز أند نوبل Barnes & Nobel الشهيرة التي أنتجت بدورها قارئاً يعتمد تقنيّة الحبر

الإلكتروني سمّته nook ما لبثت في ما بعد، وعلى مثال أمازون، أن ألحقته بجهاز لوحيّ يعمل بنظام أندرويد. ومن ثمّ Apple التي أرادت من دخول عالم النشر الإلكتروني تأمين خدمة إضافية لجهاز الـ iPad الذي تنتجه، وبالتالي زيادة مبيعاتها منه. غوغل بدورها لحقت بالركب، ولكن متأخرة بعض الشيء، فأطلقت متجرها الخاص للكتب الإلكترونية.

تشكّل المنصات الدوليّة: أمازون، آبل، غوغل، كوبو، سوق بيع لا يستهان بها، إلا أنّه يبقى لكلّ منها أجدته الخاصة، فمعظمها يسعى أولاً وقبل كلّ شيء إلى زيادة مبيعاته من الأجهزة التي ينتجها، أقرناً إلكترونياً كانت أم أجهزة لوحية، لا الكتب فحسب. كما أن دعم اللغة الخاصة بكلّ بلد قد يتأخّر وقد لا يأتي أبداً وفقاً لحجم السوق، لذلك ثمة حاجة إلى منصات محلية تأخذ خصوصية السوق المحليّة بعين الاعتبار. وعلى هذا الأساس نشأت في العالم العربي منصات نشر إلكتروني ما تزال في معظمها في مراحلها الاختبارية، وهي تجربة تستحق الوقوف عندها ومراقبة قدرتها على فتح السوق العربيّة أمام هذا المنتج الجديد المتحرّر من كثرة القيود المفروضة على الكتاب الورقيّ: كأجور الشحن والرقابة وغيره. من هذه المنصات والتطبيقات: iKitab، Qordoba، eKtab، ...NoonBooks

باختصار، تمتدّ آثار الثورة الرقمية في عالم النشر إلى منطقتنا بأسرع من المتوقع. وفيما يبدو بعض الناشرين متحفّظين حيال خوض غمار هذا العالم، مرتابين على الأخصّ من قيام منصات النشر الإلكتروني بالتعدّي على دورهم في النشر ممّا يفود لاحقاً إلى الاستغناء عنهم، وهم محقّقون في هذا خاصة وأنّ ثمة من المنصات الإلكترونية الغربية من بدأ بالفعل بإطلاق برامج وبرمجيات خاصة بالنشر الذاتيّ Self-Publishing، بحيث يعمد الكتّاب إلى نشر كتبهم رقمياً دون المرور بالناشر التقليديّ، إلا أنّ تطوّر السوق لا ينتظر أحداً، إذ يوجد منذ الآن ستّ منصات عربية للنشر الإلكتروني، تتنافس في ما بينها لإقناع الناشرين بالانضمام إليها.

إنّ المستقبل زاخر بالاحتمالات، والأفضلية ستكون لمن يسارع إلى التأقلم مع التطوّرات وتلبية احتياجات السوق. الأمر ذاته ينطبق على المنصات العربية التي ما تزال على تعدّدها في طور التجربة. قلة قليلة قد تتمكّن من تثبيت أقدامها في عالم سريع التغيّر وشديد التطلّب.